**( طرق التربية )**

التربية الاولى

– تربية الولد الاولى ينبغى ان تكون فى بيت ابيه وامه وهى التربية اللائقة للبيت وكل امرأة لم تربها امها فى صغرها لا ترغب فى تربية اولادها فى كبرها ومن سوء التربية ان الام تكل تربية اولادها الى غيرها بدون ان تلاحظ ذلك بنفسها فان الام بما اودع فيها من الشفقة والرأفةعلى اولادها هى اولى وارفق بالتربية ولتعديل مزاج ابنائها وبناتها فاذا ربت المرأة اولادها الى ين التمييز تربية حسنة او معنوية انتعش فى اذهان الابناء اعتدال المزاج والانصاف بمكارم الاخلاق وتهذيبها وسلوك الرفق واللين التى هى من صفات المتمدن ومن هنا وجب ان تكون الام متحلية بهذه الصفات لتصلح ان تربى على حسيها اولادها عالمة بكيفية الاعتناء بالطفل وكيفية تغذية عارفة طباع طفلها وعوائده ويحسن ايضا ان تكون الام هى التى ترضع ابنها فللرضاع تأثير ظاهر فى الاولاد فقد قال صلى الله عليه وسلم " الرضاع يغير الطباع " وقال " لا تسترضعوا الحمقى قإن اللبن يعدى ويروى " ومعناه ان المرضع اذا ارضعت غلاما نزعت اليه اخلاقها فيشبهها وعند عم تمكن الام تختار المرضعة العاقلة صحيحة الحواس ظاهرا وباطنا معتدلة المزاج عظيمة التدين

حكى عن الامام ابى المعالى عبد الملك الشهير بإمام الحرمين اعلم المتأخرين من اصحاب الشافعى رضى الله عنه على الاطلاق وهو الذى انتهت اليه رئاسة العلماء نخو ثلاثين سنة ولأجله بتى نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور وتولى بها الخطابة وكان من آية من آيات الله علما وعملا ان والده كان يتعيش من نسخ الكتب فاجتمع له ثمن جارية ولم يزل يطعمها من كسب يده حتى حملت بإمام الحرمين ووضعته والصبى يبكى وقد شاغلته امرأة من جيرانهم بثديها فامتص منه قليلا فشق ذلك على ابيه فاخذه ونكس رأسه ومسح بطنه وادخل اصبعه فى فيه حتى فرغ جميع ماامتصه والصبى فى خلال ذلك قد كربت نفسه تزهق وابوه يقول " موته خير من فساد اخلاقه " فكان الامام اذا لحقته فترة فى مجلس مناظرة يقول " هذا من بقايا تلك الرضعة " أفترى والد هذا الامام فعل غير ما يوجبه عليه القران الكريم حيث يقول " قوا انفسكم واهليكم نارا "

التربية الثانية

وبعد ذلك تكون تربية الاولاد موافقة احوال الامة وطريقة ادارتها واحكامها لينتعش فى افئدة الصبيان الاحساس والاصول الحسنة الجارية فى اوطانهم مثلا اذا كانت طبيعة البلد المولود فيها الانسان عسكرية مائلة للحرب والضرب تكون تربية الاولاد الذكور تابعة لها اصولا وفروعا وتكون تربية البنات ايضا مائلة لمحبة الشجعان والابطال وفحول الرجال ليشجعن الابناء طكا هو منقول ومسطور عن نساء العرب فى الجاهلية وفى صدر الاسلام كما روى عن الخنساء بنت عمرة السلمية انها حضرت القادسية ومعها بنوها اربعة رجل فقالت لهم من اول الليل " يابنى والله الذى لا اله غيره انكم لبنو رجل واحد وانكم بنو امرأة واحدة ما خنت اباكم ولا فضحت خالكم ولا هجئت حسبكم ولا غيرت نسبكم وانتم تعلمون قول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوالله لعلكم تقلحون " فاذا اصبحتم انشاء الله فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على اعدائكم مستنصرين فاذا رايتم الحرب قد شمرت غت ساقها واضرمت لغلى على سياجها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند اخترام خميسها تظفروا بالغنى والكرامة فى دار الخلود والمقامة فلما اضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وشنوا الاغارة وقاتلوا حتى استشهدوا جميعا فبلغها الخبر فقالت " الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وارجوا من ربى ان يجمعنى بهم فى مستقر رحمته واذا كانت المملكة زراعية او تجارية او بحرية وا اشبه ذلك كان مدار التربية الصحيحة للاولاد على ذلك

ولقد دلت التجارب وبرهنت المشاهدات على ان الامة التى تتقدم فيها التربية بحسب مقتضيات احوالها بتقدم فيها ايضا التقدم والتمدن على وجه تكون به اهلا للحصول على حريتها بخلاف الامة القاصرة التربية فان تمدنها يتأخر بقدر تأخر تربيتها قال بغض الحكماء " ان سمختم لى بتحسين التربية الزمت نفسى لكم باصلاح احوال العالم باسره فالتربية هى اساس الانتفاعبابناء الوطن ولذلك يجب تعويد الاطفال لا سيما ابناء الامراء والاكابر والاغنياء من الصغر على ترك الكبر والاعجاب ومحبة النفس وتكليفهم باستعمال الرفق واللبن والتلطف مع غيرهم حتى لا يتجاى احد من عوام الناس وخواصهم على لومهم على افعالهم واطوارهم وحركاتهم فيلزم محو ذلك من الاطفال فى حال صغرهم بان يعتنى مربى الذكور والاناث بان يطفى من قلوبهم نار حبهم لانفسهم وحرارة حرصهم على جلب كل شىء لخاصيتهم فان حبهم للنفس بهذه الدرجة انما هو عين البغض لها لانه يجلب لهم بغض من عداهم من الاخوان وكيف ينال السعادة من خص نفسه بالمحبة ولم يجعل لاخيه قدر حبه وهذا الحديث الشريف " لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه " وهذا الحديث ن اعظم آداب الدين رأسه وكذلك يلزم تعويد الاطفال على العقائد الدينية التى تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر فيعظمون الفضيلة فى اعينهم ليحبوها ويتمسكوا بها ويحطون بالرذيلة ليفروا منها ويستقبحوها ويعودونهم على النظافة والترتيب والاقتصاد ويحضونهم على مكارم الاخلاق قليلها وجليلها بأن يحسنوا لهم الصدق والفاء والامانة والعفة والصيانة وشرف النفس وتوقير الكبير واحترام الصعير واجتناب الهزل واساءة الادب والفحش فى القول والفعل وبر الوالدين والانقياد لامرها بالسمع والطاعة والدعاء لهما وتقبيل ايديهما عند الدخول اليهما لترسخ كل هذه الصفات والفضائل فى انفسهم وتنتفش فى قلوبهم فلن ينسوها بعد ذلك ما دام المرء يشيب على ما شب عليه ومن المعلوم ان كل ما يصدر عن الاطفال فى كبرهم من خدم جليلة وصناعات جميلة ومساع خيرية ومنافع اجتماعية ليس الا اظهار للمبادىء التى انطبقت فى ذهنهم من تعاليمهم المنزلية حالة صغرهم ومما تلقوه من مرشدهم فنمت مع نموهم فان كانت هذه التعاليم ليست مؤسسة على قاعدة علمية صحيحة كانت سبب تعاسة كبرى قل ان يخلص منها الطفل او يقاومها بالدراسات الثانوية بعد نمو مجموع قواه الجسمية والعقلية ومع تعويدهم على ذلك ينبغى ان يقبح فى نظر الاولاد بالفعل وبالقول كل ما يضاد هذه الصفات بان يمثلوا لهم حالة الكذاب الخداع المنافق الحسود الكنود المرائى فى دينه ودنياه اشنع تمثيل فان الكذب وحده لااس كل مذموم وجماع كل فضيحة ويلزم تقوية صفة الحياء فى الاولاد وهم صغار فيشبون ويشيبون عليها فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال " ان شر الناس عند الله من خافه الناس اتقاء فحشه " وروى البخارى غن لبن مسعود قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت " فاذا ارتفع الحياء صنعت النفس ما تهوى ولذلك نكرر انه يجب على من يربى البنات ويتعهد شؤونهن ان يتركهن على حيائهن الذى هو زيتهن فلا تمسه التربية بمحو ولا تخفيف وان لا يجتهد احد فى غلهام الشجاعة لهن وكذلك ما اشتملن عليه عادة من الخوف والوجل مما ينبغى محوه من الذكور فلا بأس بابقائه فى النساء فاتهن غير مخلوقات لان يحزن شجاعة الرجال كما قدمنا

وكان اهل سبارطه يربون اولادهم على طرف المملكة وكانوا يعودونهم على عدم الحوف من ظلام الليل وعلى عد الكآبة والتشكى الا لحاجة لازمة وكانوا اذا بلغ الطفل سبع سنين امروا المعلم ان يعلمه التعود على الاشغال والتجلد والمشاق والمبادرة فى الطاعة وكان المعلمون يسوون بين سائر الاةلاد فى التعليم بالمكاتب العمومية بلا تمييز لاحد منهم بتعليم شىء وتقديمه على آخر بل يعلمون الكل مع بعضهم بطريقة واحدة لانهم مستوون فى القيام بواجبات المملكة وكنوا يجعلون من ظهرت نجابته فى التعليم رئيسا على من عداه ممن لم تظهر له نجابة فيحكم الا تجب فيهن عداء منهم بملاحظة الشيوخ ليرد الشيوخ من الخطأ فى حكمه منهم الى الصواب ويجب تأديبه على ذلك بما يليق بخطئه من العقاب وكانت طريقة تعليم الاولاد التفاهم والتخاطب عندهم هى ان الاباء كانوا اذا اجتمعوا على مائدة عمومية بحضرون معهم اولادهم لينموا فائدة محاورة تلك المجالس وكانوا يسألونهم عن بعض اشياء مهمة فيقولون للواحد منهم مارأيك فى هذا الشىء او فى هذا الرجل ويحملونهم على رد الجواب بسرعة مع الاختصار وادب الكلام

وكان هذا هو السبب الاعظم فى كثرة فحول الرجال وكبراء الابطال فى بلاد اليونان وكذلك فى مدينة اثينا كانوا يعتنون بتعليك الاولاد امامهم ان بقاء عز المملكة انما يكون بذلك ويحثون على الاستقلال بالحرف والصنائع وكل من يثبت عليه من اهالى المدينة انه لم يتعاط حرفة وصنعة وانهم بذلك ثلاث مرات فانه يفضح على رؤوس الاشهاد كما كان يفضح كل ولد يسرف فى امواله او يحرم ابويه من القوت الا اذا كانا لم يعلماه صنعة فانه كان لا عقاب عليه بذلك

وكان من احكام هذه المدينة انه لا يجب على المرأة ان تجهز لزوجها عند الابتناء بها ثلاثة اتواب وامتعة فليلة الثمن خوفا على اهلها من الفقر وان من اجتمع بغير زوجته وعاشرها او خالط النساء المتبرجات لا يكون من ارباب مشورة المدينة لانه لا يؤتمن على مصلحة الاهالى وان من سكر من ارباب مشورة فمقا به القتل فبهذا صارت تربية عموم اليونان كلمة فاضلة فى اغلب الازمان

ذلك كان حال التربية عند الاقوام الذين خلوا وكانت سببا فى رفعتهم وعزتهم ومنعتهم فقل لى بأبيك هل أتت بشىء اعظم مما يدعو اليه القرآن الشريف والشريعة السمحاء أيوجد أمة احسن ممن تهذيت اخلاق ابنائها على ماوردت به تلك الشريعة الغراء كلا – اللهم كلا – هذا وجميع هذه التعاليم والتدريبات التى اشرنا اليها هى المسماة بالدروس الاولية للطفل والتى يجب تلقينها له سواء كان ذكرا او انثى بواسطة الامهات والآباء والاقارب والاصدقاء المرشدين الذين هم اساتذة هذه المدارس المنزلية هذه الدروس هى الاساس الاقوم والمبدأ المحكم للتربية والواسطة الوحيدة لدجعل الطفل مستعدا لان يتلقى دروسا اعلى وبدون هذا وعشيرته لانه بدونه لا يكطون تهذيبه فيما بعد ممكنا بل تكون كل التعاليم التى اليه صورية لا تؤثر على وجدانه بشىء مهما اجهد النفس فى تعديلها لان الطبع يغلب التطبع ولا جدال فى ان اهمالنا هذه التربية الاولية هو السبب الاصلى فى تقهقرنا ويلزمنا ان ننوه هنا ان لا تربية تصلح الا اذا كان القائم بها مرشدا كان او مربيا من اهل واقارب ومراضع او معلما متخلقا بالاخلاق التى يراد تطبيع الاولاد عليها حتى يكونوا قدوة حسنة لهم بهم يقتدون وعلى منوالهم ينسجون وبخلاف ذلك لا يمكن ولا يؤمل ان تحصل فائدة اذ القدوة السيئة تؤثر تأثيرها على النفوس وتسىء اخلاق الاولاد منذ صغرهم فيشبون على ذلك ويفسدون وهناك الطامة الكبرى حيث لا يفيد دواء ويعظم الداء ومن هذا عرفنا ما يجب على الام ان تتدرع هى ايضا باصول التربية ولم تتحل بمكارم الاخلاق يشب طفلها عديم المنفعة ساقط المنزلة ويغيش طول عمره ككرة يلعب بها من اقوى نته ويموت غير مأسوف عليه وليس من ينكر انه ون كان الأب هو صاحب التأثير المهم والأولى فى التربية فان الام كذلك هى الحجر الاساسى للعائلة ففى امكانها ان تضم افرادها او تشتتهم وذلك تبعا لا ميالها التى اكتسبها من معلوماتها اثناء صغرها

التربية الثالثة

التعليم لا اظن انه يوجد احد يكره ان تحسن حالة بيته ولا ان لا يساعد ويعين على ما يوجب هذا التحسين ولكن كل من يشاهد ما نحن عليه من الاداب وكيفية التعليم الناقص الغير ملائم لمصلحة الامة الذى يتعلمه النتون والبنات الان فأنه ولاشك يفضل الجهالة التامة على ذلك التعليم الصورى الكثيرة مضارة المعدوم المنافع فاذا تهذبت اخلاق الاولاد بالاداب الصحيحة كما قدمنا فليس من يقول بعدم تعليم البنت ما يساعدها على زيادة تحسين حال بيتها وتوسيع نطاق معارفها فيما يتعلق بواجباته من مواد العلم الاموى حتى تصير كمعلمة صحية وعملية من غير اخراجها عن وظيفتها حيث انها ستصير اما والام هى الحجر الاساسى للعائلة كما قدمنا والدين لم يمنع مطلقا من ذلك فحسبنا قول النبى صلى الله عليه وسلم " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " وقد كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم من يعلم القراءة والكتابة من النساء للنساء فالتعليم الذى لا باس من يشترك البنات بالاشتغال فيه والانتفاع به آنسى الانسان منهن رشدا واستعدادا له هة عبارة عن تعليم القراءة والكتابة فى ضمن تعليم القرآن الشريف وامور الدين لتعرف البنت ما يجب عليها وما يجب لها من الحقوق والواجبات ومبادىء الحساب والهندسة والجغرافية ومحتصر تاريخ بلادهن فان هذا مما يزيدهن ادبا وعقلا ويصلحن به لمشاركة الرجل فى الكلام والرأى فيعظهن فى قلوبهم ويعظم مقمهن لديهم ويهون عليهم مؤلته ويذاكرهم بما حصله من الفوائد والغرائب وينصهم فى الدين فبذلك تتطهر قلوبهم ويزكو علمهم ويجب عليه ايضا ان يأذن فى بعض الاوقات للاولاد باللعب ويكون لعبا جميلا غير متعب لهم ليستريحوا من كلفة الادب وهذه الرياضة تروح النفس وتحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتتقى الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتزكى النفس قان النفس تمل من الؤوب فى الجد وترتاح الى بعض المباح من اللهو قال نبينا صلى الله عليه وسلم لحنظلة : ساعة وساعة وقال على رضى الله عنه روحوا القلوب فإنها تمل كما تمل الابدان وقال ليضا : صاوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد وكان صلى الله عليه وسلم يقول : يابلال روحنا

وينبغى ان يكون لنساء هذه الاعصر فى خدمتهن لمنزلهن اقتداء بنساء النبى صلى الله عليه وسلم فإن نساء النبى من يسعين على عيالهن وخدمن زوجهن ويمتهن انفسهن ولذلك يلزم ان يتعلمن شيئا من فن تدبير المنزل ومن مبادىء القوانين الصحية زمايلزم النساء من الخياطة والتطريز والطبخ الخ قال النبى صلى الله عليه وسلم لأم سلمة " اذا أدت المرأة فريضة ربها واطاعت بعلها وحركت المنزل كانت كأنها | تسبح ومادام المنزل فى يدها كانت كأنها تصلى جماعة واذا طبخت القدر لاجل اطفالها تساقطت ذنوبه " هذا مايمكن تعليمه لهن واظن ان فيه الكفاية للقيام بوظيفتهن احسن قيام وهذه التربية هى المناسبة لوظيفتهن فإننا لو اخذنا بنتا وعلمناها القراءة والكتابة والعقائد والاداب الدينية والعبادات وطرفا من قانون الصحة وكيفية تدبير المنزل وتربية الاولاد والاشغال اليدوية الخ ثم قصرناها فى بيتها فيكون منزلها هو المدرسة الثانوية لهذا التعليم الابتدائى تجرى تطبيق ما تغلمته بالعمل فيه لان وظيفتها التى بيناها تقتضى جميع هذه المعارف كما لا ينكره احد وبذلك لا تنسى ما تعلمته ولا تتغير اخلاقها وما الفائدة من تعليمها ما تنساه ولا يمكنها ان تمارسه ولا ان تعمل به فىمنزلها لخروجة عن حدود وظيفتها على ان لا شىء يمنع المرأة من التوسع فى العلوم والمعارف اذا وجدت عندها قابلية من نفسها وكان وقتها يسمح لها به كاما ان لا شىء يمنعها عند اقتضاء الحاجة من ان تتعاطى من الاعمال بعض ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها

ومما يلزم تعويدهن عليه وتأيبيهن على تركه الصلاة والصوم وانواع العبادات التى يأمر بها الدين اذ بخلافها يكون العلم ناقصا ولا فائدة منه مادام يكون غير مقرون بالعمل غغذا ربينا البنت الناشئة علىهذه المبادىء وحليناها بهذه الكمالات ومنعناها من الابتذال وقوينا فيها فضيلة الحياء بالاحتجاب الذى به تمام التربية كما سترى أمكنها ان تنفع وتفيد واستطاعت ان تنصح والدتها التى لم يسبق لها دراسة وقامت بوظيفتها احسن ثيام وامتنعت اسباب الشكاية والبلاء

أما ما يذهب اليه بعضنا من وجوب تعليم المرأة المسلمة غلى الطريقة الاوروبية واتخاذ حالة المرأة الغربية مثالا لذلك فما يزيد احوالنا فاذا وليس ذلك لكون طبيعتنا مضادة لطبيعة الغربى ولا لأننا نحب ان نبقى على جهاتنا ولكن لأن علماء العمران فى العالمين القديم والجديد ( فى اوروبا واميريكا ) يرفعون عقيرتهم كل يوم منذرين قومهم بسوء العافية من غلواء النساء فى الحرية وخروجهن عن الدائرة التى اراد الله ان يشغلنها وما على الشرقى الذى يعتبر ان المرأة الاوروبية والامريكية ملكان نزلا من سماء المدنية على ارض الحرية الا ان يقرأ ما قاله وما يقوله علماء بلادهما عنهما حتى تنشأ لديه فكرة عامة على وظيفة المرأة ومستقبلها والعاقل من اعتبر واتعظ بغيره قال العلامة جول سيمون " كان الناس فى سنة 1848 يشكون من عدم الاعتناء بتهذيب النساء وتربيتهن ولكنهم بالعكس يشكون اليوم من ان ذلك التهذيب قد بلغ حد الافراط ثم لا نشك انا خرجنا من تفريط الى افراط هائل " فلنتق الله فى انفسنا واهلينا ولتقلد بروية وتدبير

والله تعالى اعظم مسئول فى توفيق الامزر واصلاح الحال